التعزيز التربوي في الواقع المدرسي

تجربة مدرسة تكرم أوائل طلبتها

تطرقت العديد من نظريات التربية وأدبياتها إلى أهمية تشجيع وتحفيز المعلمين للطلبة في حياتهم المدرسية، من أجل استنهاض قدراتهم والتعرف على إمكانياتهم. واستنادا للتجربة الشخصية لكل منا، فإن كلمة ثناء بسيطة أو إشارة إطراء من المعلم كانت تشكل دفعا معنويا لنا وتعزيزا لثقتنا بأنفسنا، فضلا عن إحساسنا بالفخر أمام زملائنا وأبوينا.

وهذا الدعم الذي يقدمه المعلم للطالب بوسائل متعددة، بدءاً من الكلمة وانتهاءً بالابتسامة وشهادة التقدير؛ يحتاج إليه الطلبة دائما في حياتهم المدرسية. أما اقتصاره على طلبة محددين استنادا إلى ارتفاع علاماتهم المدرسية فهو تجاهل للآخرين الذين ربما يقلون عنهم بأعشار قليلة في المعدل العام.

في هذا المقال أسرد مثالا حصل في إحدى المدارس، حيث قامت الإدارة والهيئة التدريسية في هذه المدرسة بالإعلان عن حفل ختامي لتكريم أوائل الطلبة، وكالعادة، فقد حضر الكثيرون من أولياء الأمور، بهدف رؤية أبنائهم يُكرمون أمامهم، ولكي يشاركوهم فرحتهم.

في ذلك اليوم، بدأ الحفل بفقرات كثيرة ومتعددة، وكان الحضور جالسين تحت أشعة الشمس لساعات طويلة، ولكن كان لديهم دافع قوي للبقاء حتى آخر فقرة لرؤية أبنائهم المُكرّمين.

تم إحضار شهادات التقدير، وبدأ عريف الحفل في المناداة على الطلبة (المتميزين) في المدرسة لتكريمهم من خلال تسليمهم شهادات التقدير والجوائز، وهم الأول من كل شعبة فقط، وتم التكريم من قبل الإدارة وممثلو مكتب التربية ومجلس الآباء.

الكثير من الطلبة الحاضرين كانت علاماتهم أقل بفارق يصل إلى عُشر أو بضعة أعشار فقط، فأحد الآباء يقول: «إن معدل ابني 97.2 ولم يكرموه» وذاك يقول: «غريب، معدل ابني 96.5، لو بعرف هيك ما اجيت» وهكذا.

تساءل الكثيرون: «لماذا لم يكرم أبناؤنا، ما الذي حصل؟» قال أحدهم: «بدناش اكرموا كل اللي في التسعين، على الأقل اكرموا الأول والثاني والثالث، ليش ما كرموا إلا الأول؟ الأول ما بزيد عن ابني إلا عُشرين أو ثلاثة أعشار».

إن نتائج حفل التكريم امتدت إلى بيوت الأطفال، طفل في الصف الأول حصل على معدل 96.1، كان ترتيبه الثاني في الشعبة بفارق سبعة أعشار عن الأول، رجع إلى البيت مع أسرته، وبعد فترة قصيرة افتقدوه فلم يجدوه، بدؤوا بالبحث عنه فوجدوه مختبئا وراء الكنبة في البيت يبكي والدموع قد ملأت وجهه، سألوه عن السبب، ولكن وقفت الكلمات في فمه، ثم أجهش بالبكاء، وبعد أن قام والده بتهدئته، قال: «ما نادوا علي في السماعة، ولا أعطوني شهادة تقدير، والأستاذ دايما بقولي أنت ممتاز وعلاماتك كلها فوق التسعين، والأستاذ بحبني اكثير بس ليش ما أعطوني شهادة تقدير وأنا شاطر».

أما ما حصل مع طفل آخر، أنه عندما رجع إلى البيت أجهش بالبكاء، ولم تنجح كل المحاولات لتهدئته، ورفض تناول الأكل، وقال لأبيه «أنا بدّيش ارجع على المدرسة، وبدي ابطّل منها».

توجهت إلى إدارة المدرسة لمناقشتهم في هذا الموضوع، فكان الجواب: «لقد قررنا في المدرسة تكريم المتميزين من كل صف فقط»، وعند توجيه سؤال عن تعريفهم للمتميزين كان الجواب: «هم

الأول من كل شعبة»، وبعد نقاش معمق ومفصل حول الموضوع أقروا بأن السبب في عدم تكريم الطلبة ذوي الدرجات الثانية والثالثة على الأقل هو عدم توفر الإمكانات المادية.

استنادا إلى تجربة التكريم هذه، فإنني أطرح بعض التساؤلات:

1- ما هي مصداقية هذه العلامات؟ خصوصا وأنها تتضمن مواضيع ليس لها معلمون متخصصون في مجالات مثل الرياضة والفن والنشاط، فبالرغم من أن المعلمين يحاولون جهدهم (مشكورين) تقدير علامات الطلاب في هذه التخصصات، إلا أن تقدير العلامات في هذه المواد يبقى غير دقيق، وربما كان سبب الفارق بين علامات الطلبة – وهو بضعة أعشار فقط – في مواضيع الفن والرياضة، بالمقابل فإن بعض الطلاب متفوقين على الطالب «الأول» في المواد الأساسية مثل الرياضيات واللغة العربية وغيرها.

2- ماذا نسمّي هؤلاء الطلبة الذين حصلوا على علامات متفوقة وأقل من «الأول» بفارق بسيط يقدر بالأعشار فقط؟ هل يمكن اعتبارهم متميزين أم لا؟

3- ماذا قدمنا لمجموعة من الطلاب يتراوح عددهم ما بين 30-40 طالب متفوق في المدرسة، بعد إنجازات كبيرة أثناء العام الدراسي، هل عززنا من نجاحهم أم أحبطناهم؟

4- ما الهدف من إجراء الاحتفال؟ هل الهدف هو الظهور بأننا مدرسة تقوم بحفلات تكريم، لا يقوم بها غيرنا، بعض النظر عن تناغمها مع نظريات التربية أم الهدف هو فعلا تكريم أوائل الطلبة؟

رائد شماسنة

باحث في مركز القطان

مكان الناس

قصيدة كتبها طالب تعبيرا عن واقع مدرسي، لم يتسع حيزه وفضاؤه لحركة هذا الطالب ولا لمشاعره، ولم يوفر مكانا لأسئلته، فعبر عن ذلك في لحظة من لحظات الانطلاق الشعوري:

إذا لم يكن هذا مكان حيث تفهم الدموع،
فأين أذهب لأبكي؟
إذا لم يكن هذا مكان حيث تصبح لروحي أجنحة،
فأين أذهب لأطير؟
إذا لم يكن هذا مكان حيث يمكن أن تجد تساؤلاتي إجابة،
فأين أذهب لأبحث؟
إذا لم يكن هذا مكان حيث اعبر عن مشاعري،
فأين أذهب لأتكلم؟
إذا لم يكن هذا مكان يقبلني كما أنا،
فأين أذهب لأكون؟
إذا لم يكن هذا مكان حيث يمكنني محاولة التعلم والنمو،
فأين يمكن أن أكون فقط أنا؟
إذا لم يكن هذا مكان حيث تفهم الدموع،
فأين أذهب لأبكي؟

اختيار وترجمة: محمد أبو ملوح/ مركز القطان – غزة

* المصدر: اركارو، جانيس (2000) اصلاح التعليم – الجودة الشاملة في حجرة الدراسة. ص 42. ترجمة سهير بسيوني، دار الاحودي للنشر – القاهرة – جمهورية مصر العربية.